الكتب

ترجمة نفسية تحليلية

٣ـ هوذا تاريخ انسان ... !

للأستاذ خليل هنداوى

« ومع ذلك فكيف لى أن أكتب عن جبران من غير أن أذكر نفسى وقد كانت بيننا من القرابة ما كان ؟ » ميخائيل نعيمة

« الناقد الفنان يترك أثراً من نفسه فى شخصية من يحلله ، لأنه يحلل بنفسه ويفهم بنفسه

« درسوا جبران فى غضون الكتاب ، ولم يدرسوا « نعيمة » وإنما فى الكتاب وجهان متلاصقان فى ناحية ، مفترقان فى ناحية ، لا يفترقان فى ناحية إلا ليجتمعا ، ولا يجتمعان إلا ليفترقا . . . »

« خ . هـ »

— ٢ —

وجه ميخائيل نعيمة

لنعيمة — فى كتاب جبران خليل جبران — وجه بادى الملامح مستقل النزعة ، يجب أن نفتش عنه كما نفتش عن وجه جبران ؛ ولا يكمل أحدهما إلا بالآخر . ففيه نعيمة الانسانى ونعيمة الشاعر ، ونعيمة المصور ، ونعيمة الناقد . لأنه ليس من أولئك الناقدين الجافين الذين يعجزون عن تمثيل شخصياتهم فيما يكتبون وفى أى نوع كتبوا ؛ ونعيمة صاحب فلسفة يعمل لها وصاحب مذهب اجتماعى يدور حوله ويؤمن به كل الايمان . قد أخذ جبران مثلاً له ، وألف من حياته رواية نفسية لفتى استحوذ عليه القلق ، وألم بمحيوط تلك الحياة وحاكها بفلسفته الانسانية ، وبلغ به ما شاء أن يبلغه الى الفن الذى يترجمه صاحبه والناس الى قوة تنشط بهم من عقالات المعيشة المحدودة الى المعيشة التى لا تحد . . . .

فلسفة نعيمة الانسانى

تكاد تطغى على كل تعاليمه موجة الانسانية التى لاتقيم بين بنى الانسان حدوداً وفواصل . فهنالك الانسانية المتصلة الشاملة المشتركة فى الألم والهناء ، الساخرة من هذه التقاليد التى فصلت بين أبناء الأصل الواحد . وإذا عدت الى فصله « تمخضت الفأرة فولدت جبلاً » عرفت ذلك العدو الذى فكك بين وشائج الانسانية الحقيقية ، وجاء بوشائج كاذبة مستعارة يبنى عليها حضارته الجديدة

ينظر نعيمة الى الحياة المتآلفة فى باطنها ، المتنافرة فى ظاهرها ، حيث يمتزج كل شىء بشىء ، ويتصل كل جزء بجزء ، ولاجزء يستطيع أن يفنى بالانفصال . يبشر « نعيمة » بهذه الدعوة الأنسانية التى يجد عروقها مغروسة فى الشرق ، والتى بشر بها

« بالتوابع » . ثم عين باخ أستاذاً للغناء فى مدرسة توماس فى ليبزج ، وهنالك وضع معظم قطعه وأناشيده الغنائية ومنها أناشيد قصة « الآلام » ، وقدم فى ذلك الحين بعض قطعه إلى أوجستوس ملك سكسونية فانعم عليه بلقب «مؤلف البلاط» . وفى سنة ١٧٤٧ زار فردريك الأكبر فى بوتسدام ونال عطفه ورعايته ، ثم أصيب باخ بضعف فى بصره انتهى بالعمى ، وعقب ذلك أصابه الصرع ؛ وكانت وفاته (سنة ١٧٥٠) . وكان باخ فوق نبوغه الباهر فى التأليف والموسيقى مخترعاً موسيقياً أيضاً ، ومن اختراعاته الوضع الأصبى الحديث ، وتنظيم « البيانو » بحيث يتسع للعزف بجميع الأوضاع والأصوات

ظهر حديثاً كتاب :

فى أصول الأدب

بقلم

أحمد حسن الزيات

يطلب من إدارة (الرسالة) وثمنه ١٢ قرشاً عدا أجرة البريد

الشرق من أزمان . . . والأنسانية — فى اعتقاده — لا تفر من نفسها إلا الى نفسها — ولكن السامعين نداء أنفسهم قليل ! وهى لا تقسم طرقها إلا لتجد سبيلها الواحد ومحجتها الواحدة

فلسفة تحب العُرى النفسي المجرد والطبيعة السامية ، ألم يقل لى فى حديث له « هـذا الجبل عارياً ما أجمله ! أحب كل عارٍ فى الحياة لأنه يظهر على الحياة بحقيقته » إن الحياة عارية والأنسانية عارية ، فلماذا نستر عريهما بأوهامنا وتقاليدنا ؟ والحياة جوهر عارٍ فلماذا نجعل منها مركباً تفرح لتركيبه عقولنا وتضل عنه أرواحنا ؟ « الحياة شركة شاملة للواحد فيها ما للكل ، وللكل ماللواحد . لأن الكل هو الواحد والواحد هو الكل . لكننا أفسدنا تلك الشركة بما أدخلناه عليها من روح الاستئثار والكسب عند ما جعلنا ثمناً لكل هباتها التى لاتثمن[1] ... »

وهذه الأنسانية المجردة التى يبشر بها « نعيمة » قد لا تروق للبعض لضيق آفاقهم ، ولأن عقولهم تزين لهم أن يطعنوا هذه الانسانية ويردوها منهزمة مجرّحة . . . وقدتثبت هذه الانسانية أمام العقل ، لأن « نعيمة » يستمد هذه الانسانية من قلبه لا من عقله ، فهو يريد لها القلوب وعاء لا العقول . وقدجرّب «نعيمه» كما جرب غيره أن يقف على غاية الحياة بعقله ، جرّب كثيراً وتاه كثيراً لأنه كلما بلغ به عقله نقطة ، ضاعت عنه الثانية ، فليس له إلا مايبلغه أمامه ، وليس له من ورائه شيء ، سار به عقله الى سلسلة متناقضات يصارع بعضها بعضاً وينفى بعضها بعضاً ، وأين سبيل النجاة أيها العقل ؟

وأخيراً يجد نعيمة سبيل النجاة فى واحة الخيال المنعتق من كابوس المقاييس الزمنية والمكانية والتفلت من قيود التقاليد . وجده فى الخيال ووجد إنسانيته فى الخيال ، يخاطبه الناس بعقولهم ويخاطبهم بخياله وومضاته ، أما طريق الوصول إليه ، فهو الفن الذى يحمل صاحبه على جناحى الخيال الى تلك المعيشة التى لاتُحدُّ — من الانسان فى الله ، الى الله فى الانسان

فهو مع الحياة فى سلم أبدى ، لأن الحياة ظاهرة الجوهر ، لا تتمخض بالسوء ؛ وهب أنها تمخضت بسوء — كما تراه مداركنا — فهذا السوء سوء عندنا ، وليس بسوء عند الحياة ، الحياة التى تسعى وراء تحقيق غايتها ، وإنما الأجدر بنا أن نؤالف بين غايتنا وغاية الحياة ، لأن السعادة التامة الكاملة ، إنما تتم فى هذه الألفة ! وأنى لنا أن ندرك سبل الحياة وغايتها ؟

— ستدرك كل ذلك — أيها الانسان عند ما تصبح إلـهاً !

« ما أشفق الحياة على بناتها وعلى أبنائها ، فلا تضع فى حدقتى مخلوق من نورها أكثر مما يحتاجه ذلك المخلوق ليستدل على طريقه . ولا تودع ساقيه من قوتها أكثر مما يلزمه لقطع المسافة التى تخطها له » والانسان خلال ذلك مزهو بكبريائه ، تسوّل له ذاته أن يكون رب نفسه ، والحياة تشفق على هذه الربوبية الضعيفة وتحضنها كالام التى تحضن ولدها العاق المتألم

— ستعرف غايتى أيها الانسان عند ما تصبح إلـهاً !

(يتبع) مخيل هنداوى

(١) من رسالة لنعيمة

من ركب الباخرة
النيـــل
يعود لركوبها
أعدتها لخدمتكم
شركة مصر للملاحة البحرية
بكل أسباب الراحة والرفاهية
عناية فى الخدمة ، وأجور غاية فى الاعتدال
رحلات منتظمة ظهر يوم الخميس كل أسبوعين
من الاسكندرية الى جنوا ومرسيليا
ابتداء من يوم الخميس الموافق ٢٣ مايو المقبل